

المحميات البيئية والحراجية والتنوع الحيوي

❖ الدكتور سمير حيدر الماضي
دكتوراه في علوم الحراج

الطبيعية في سورية ظاهرة صحية.

هل كان هارون الرشيد يقطع المسافة بين بغداد والرقة في ظلال الأشجار؟

لم يبالغ المؤرخون عندما قالوا إن موكب الخليفة العباسي هارون الرشيد كان يسير من بغداد إلى الرقة حيث يقيم في فصل الصيف تحت ظلال الأشجار، ذلك لأن الدراسات البيولوجية والتاريخية والجغرافية والجيولوجية تشير إلى أن غابات سورية كانت تغطي ٤٧٪ من مساحتها لكن هذا الرقم انخفض إلى ٢,٧٪ خلال الأزمنة الحديثة.

- واقع الغابات في سوريا والأخطار التي تواجهها :

أدى التوسع بالزراعة وازدياد عدد السكان إلى الحاجة لاستخدام الأخشاب والأحطاب وموارد الغابة المختلفة ، إما للصناعات القديمة أو الوقود أو لغيرها ، وهذا بدوره دفع الإنسان إلى القطع الجائر غير المنظم وعدم التعويض بتحريج هذه المساحة المفقودة، وقد قام الإنسان خلال القرون الماضية باستخدام مختلف الأساليب التي أدت إلى تدهور الثروة الحراجية بسورية مما جعل المساحة الحراجية تتقلص وبدأ الانحسار التدريجي للغابات من ضفاف مجاري المياه والسهول والمواقع الخصبة إلى المناطق الجبلية الساحلية الرطبة من غرب وشمال غرب القطر وأصبحت الأشجار المتفرقة في تلك المناطق شاهداً على تاريخ هذه المناطق الحراجية .

- تعتبر سوريا بشكل عام من البلاد الفقيرة بالغابات على الرغم من أهميتها الكبيرة سواء من النواحي الاقتصادية أو الاجتماعية أو البيئية أو السياحية وقد بلغت مساحة الغابات الطبيعية فيها بنحو /٢٣٢٨٤٠هـ/ حسب مسح عام /١٩٩٢ وتتركز الغابات في محافظة اللاذقية التي تستأثر بنحو ٣١٪ من المساحة وتتوزع بقية المساحة على محافظات القطر بنسب تتراوح بين (٠,٢ و ١٨٪). وإن أهم ما يميز الغابة الطبيعية في سوريا تدني نسبة التغطية الشجرية فيها حيث تتراوح بين ٣٠-٦٠٪

وتصل إلى ٨٠٪ في غابات قليلة في محافظتي حماة واللاذقية، أما في مواقع أخرى فتصل نسبتها إلى ٢-٣٪ وكما أنها في غالبيتها عبارة عن أشجار متفرقة .

تحتل السنديانيات المرتبة الأولى من حيث المساحة بين الأنواع السائدة في غابات سورية حيث تشكل نحو ٥٨٪ من مجموع المساحة الحراجية ، تليها الصنوبريات حيث تبلغ ٢٧٪ ثم البطم الأطلسي ٨٪ ومساحات ضئيلة من اللذاب والأرز والشوح لا تزيد مساحتها عن ١٪ ، هذا بالإضافة إلى أنواع أخرى من الأشجار المرافقة مثل اللوز والأجاص البري والزعرور والغار والزيتون البري والريحان والصفصاف والطرفاء .....

ومن الجدير بالذكر أن تطوير الغابات بالقطر وزيادة مساحتها بأعمال التحريج الاصطناعي بدأ بشكل متواضع وذلك بتحريج /١٦/ هكتار عام /١٩٥٣، أما اليوم فإن أعمال التحريج الاصطناعي قد وصل إلى أكثر من /٢٤/ ألف هكتار سنوياً ، مما أدى إلى اعتبار برنامج التحريج الاصطناعي بسورية من كبريات البرامج المماثلة في العالم فهي تساهم في تحسين المناخ ومكافحة التصحر ومنع تدهور التربة وزيادة حصاد المياه وإعادة تجديد وتجميل المناطق السياحية ، وتحسين الغطاء النباتي وحماية الحيوان البري.

التنوع الحيوي النباتي :

تعتبر الغابات أغنى الأنظمة البيئية بالتنوع الحيوي وهي تغطي حوالي ثلث أراضي العالم ، فغابات المخروطيات في الشمال، والغابات الاستوائية في خط الاستواء ، والغابات المعتدلة في النصف الجنوبي للكرة الأرضية . كلها تعمل على تنظيم المناخ وتحمي الموارد المائية وتعطي منتوجات غابية بما يساوي ١٠٠ بليون دولار في العام الواحد ، ويعتمد نصف سكان العالم على الغابات في توفير الوقود الذي يحتاجونه كما أنها تعتبر مواطن عيش للملايين من أنواع النبات والحيوان . أي أن هذه الغابات آخذة في الاختفاء عبر العالم كله ، لا سيما في المنطقة المتوسطية ، وكأحد الوسائل الناجعة في الحد من تدهور وتراجع الغابات هو إقامة المحميات البيئية التي تهدف إلى حماية وصيانة وإدارة النظم البيئية الطبيعية والاصطناعية وتشمل المحمية بشكل عام على رقعة (مركزية) لا تمسها فعاليات الإنسان ومنطقة (نطاق وقائي) تجري فيها البحوث التجريبية والبحوث المقترنة بتدخل الإنسان في الطبيعة .

إن الاهتمام بالتنوع البيولوجي حديث العهد في سورية وهو يتجلى بشكل دراسات عن النباتات البرية والمجتمعات النباتية والغابات الطبيعية وعوامل تدهورها ولقد بينت الدراسات أن الأغطية النباتية الطبيعية في سوريا قد تعرضت لتغيرات



بنيوية جوهرية بسبب التبدلات المناخية التي طرأت على المنطقة خلال فترات جيولوجية متعاقبة وقد بينت الدراسة التي أجريت في مواقع الخريفة ، الضمير ، تل رماد ، وجبل سيس بالطابق الجاف ونصف الجاف في سوريا إن الغطاء النباتي كان خلال فترة سابقة مؤلفاً بشكل أساسي من السنديان العادي Quercus calliprenus والبطم Pistacia sp واللوز Amygdalus sp والزرود Phillyrea sp إن هذه الأنواع لم تعد تصادف في الحالة الراهنة في أي من المواقع المذكورة وما ذلك إلا لأنها من المواقع البيئية الأكثر قساوة والتي تسمح بانتشار هذه الأنواع .



ولا بد وأن عوامل التدهور من رعي وقطع جائرين جعلتها تنحسر بتسارع يتفق طرداً مع حدية العوامل البيئية وتطرفها، فالمناطق الجافة ونصف الجافة في سوريا ترزح تحت وطأة تغيرات حرارية ، وجفافية شديدة ، وإن التصحر ممثلاً بتراجع الغطاء النباتي المصحوب بتدهور التربة وتعريتها غدا من المظاهر المألوفة في هذه المناطق، بل بدأ يغدو هكذا أيضاً في المناطق الأفضل حظاً من الرطوبة وماهذا إلا حصيلة الرعي الجائر والاستثمار المفرط للغطاء النباتي الشجري ، وفلاحة الأراضي الهامشية ، لهذا فإننا نلاحظ اختفاءاً كلياً لبعض الأنواع النباتية من مواقع كانت حتى الأمس القريب زاخرة بها .

- المحميات البيئية الطبيعية في سوريا:

إن المحميات الطبيعية بكافة أنواعها وطرزها هي مناطق مخصصة أساساً لحماية التراث الطبيعي بكل أشكاله ولا يسمح فيها بشراء الأرض أو البناء عليها، كما يمنع فيها الصيد تماماً ويمنع استثمار النباتات بداخلها أو قطف الأزهار أو دخول الأغنام والماشية للرعي فيها ، إن أهم المبادئ للسياسة الحراجية في سوريا حماية الغابات القائمة والمحافظة عليها وضمان استمرارها لذلك نسعى إلى إنشاء محميات بيئية طبيعية لحماية الأنواع النباتية ، وقد صدرت عدة قرارات لاعتبار مناطق معينة ضمن محافظات القطر محمية بيئية حراجية متعددة الأغراض وذات تنوع حيوي نذكر على سبيل المثال منها :

❖ محمية الأرز Cedrus libani والشوح Abies cilicica

تبلغ المساحة المقترحة بهذه المحمية /١٣٥٠هـ/ يتجاوز الهطول المطري فيها /١٤٠٠مم/ سنة وتحتل غابة الأرز بمرافقاتها السفح الشرقي في حين تستأثر غابة الشوح السفح الغربي بمرافقات غابوية متشابهة تقريباً نذكر منها :

الصلع	Otsrya carpinifolia
والشرد	Carpinus orientalis
والعدريش	Juniperus drupacta
والسنديان الأرزي	Quercus cedrorum

مع تواجد العديد من الأصول البرية للأشجار المثمرة من أجاص بري وتفاح بري ومحلب وزعرورو وخوخ الدب والعديد من الأنواع العشبية الأخرى الهامة .

ترجع ملكية الأراضي فيها للدولة ماعدا /٢٤/ هكتار تمثل ملكيات خاصة تسعى وزارة الزراعة لاستملاكها والمقترح أن يتم ترميم المواقع المتدهورة في المحمية بأنواع مكافئة ومتأقلمة من متساقطات الأوراق والمخروطيات ومما هو متفق عليه أن تتم الحماية وفق نظام المحمية البيئية الطبيعية ذات الطابع العلمي المحض دون المساس بالموارد الطبيعية فيها .

محمية الفرنلق :

- تقع غابة الفرنلق في منطقة البابر شمال اللاذقية بحوالي /٤٧كم/ على يمين الطريق المؤدية إلى كسب وتشغل هذه المحمية مساحة /١٥٠٠/ هكتار وفق قرار وزارة الزراعة رقم /١٧/ ت تاريخ ١٩٩٩/٥/١٨ النوع السائد فيها السنديان العذري والشبه عذري Quercus cerris ,Q.Pseudocerris

وتعتبر غابة الفرنلق من مناطق الأولوية التي تستحق الحماية في سوريا نظراً لنظامها البيئي الغابي الأكثر نضجاً وكمالاً في سورية ، فهي تمثل غابة أوجية قريبة من حالة التوازن المستقر مع ظروف الوسط بالرغم من الضغوط السياحية التي تعانيها وما يزيد في تمايز غابة الفرنلق عن بقية المواقع كونها ناشئة عن ترب تكونت على صخور خضراء اندفاعية نادرة الوجود في سورية ، مما رفع من عدد الأنواع النباتية المستوطنة فيها ، إضافة لغنى المنطقة بالكثير من الأنواع النادرة والمهددة بالانقراض ، إن هذه الخصوصيات النباتية والبيئية تكسب هذه الغابة صفة الندرة والحساسية والهشاشة والقابلية السريعة للتردي والتدهور .

محمية جبل عبد العزيز :

يقع هذا الجبل في الجهة الجنوبية الغربية من محافظة الحسكة حيث يتدرج بالارتفاع من ٤٠٠ حتى ٩٣٠م ويتمتع بمناخ متوسطي قاري . تتراوح كمية الأمطار الهاطلة فيه ما بين ٢٥٠-٣٠٠مم/ سنة والتربة فيه كلسية طينية ضحلة ناشئة على صخر كلسي تنتشر في

هذا الجبل أشجار البطم الأطلسي Pistacia atlantica وبطم كينجوك P.Khinjuk وبطم موتيكا P.mutica مع بعض أشجار اللوز الشرقي والخوخ البري والزعرور والسويد الفلسطيني والتين إضافة إلى العديد من النباتات الرعوية المعمرة كالشيح والصر والروثا والقيصوم والزعتر Thymus SP. وتبلغ مساحة المحمية /٤٩/ ألف هكتار وفق قرار وزارة الزراعة رقم ٢٧/ ت تاريخ ٢٠٠٢/٥/١١ وتصادف في المنطقة بعض العيون السطحية الصالحة للشرب ، كما يأوي مناطق الجبل المختلفة العديد من الحيوانات البرية المفترسة والعاشبة والطيور وتم مؤخراً إعادة إدخال الغزال العربي إليها بقطيع مؤلف من مائة رأس ضمن منطقة مسيجة ومحمية لإعادة نشرها وإطلاقها في الجبل مستقبلاً .

❖❖ محمية جبل أبو رجمين :

يقع هذا الجبل شمال مدينة تدمر بحوالي ٤٥ كم وتقدر مساحته الإجمالية بحدود /٦٠/ ألف هكتار وتبلغ مساحة المحمية البيئية الحراجية متعددة الأغراض بـ /٤٥/ ألف هكتار حسب قرار وزارة الزراعة رقم /١٠/ ت تاريخ ٢٠٠٢/٢/٥ وترتفع أعلى قمة في الجبل إلى /١٣٨٧م/ (حوية الرأس) يتراوح معدل الهطول المطري من ١٥٠-٢٠٠مم كان هذا الجبل مغطى فيما مضى بأشجار البطم الأطلسي Pistacia atlantica والسويد الفلسطيني Rhamnus Palaestina مع وجود أشجار اللوز والخوخ والأجاص البري ، ولكن تدهور الجبل نتيجة الرعي والاحتطاب والفلاحة أدى لوضع هذه الأشجار الحراجية في طريق الاندثار حيث أنها لم تعد ترى إلا في المناطق غير المأهولة بالسكان مترافقة مع شجيرات رعوية منها الصر والشيح والروثا والزعتر

يعتبر الجبل الموطن الأصلي لعرب العمور الذين يعتمدون على الرعي والاحتطاب لأجل العيش إن أغلب مساكن القاطنين هي بيوت الشعر التي تؤوي ما يقارب ٢٠٠ عائلة غير مستقرة .

❖❖ محمية أم الطيور :

يبعد موقع أم الطيور ثلاثين كيلومتراً إلى الشمال من مدينة اللاذقية وتتبع ناحية قسطل معاف ويبلغ طول شاطئه ١٢كم من جبل قوز طرنجة جنوباً حتى رأس البسيط شمالاً ويحده على اليابسة الطريق الزراعية طرنجة - العيسوية - البسيط غرباً البحر حتى حدود المياه الإقليمية تتصف المنطقة الشاطئية في الجنوب بساحل رملي تقع فيه قرية أم الطيور (٢٠٠٠ نسمة) ثم شاطئ صخري ذا صخور اندفاعية حتى رأس البسيط ، تبلغ مساحة المحمية ألف هكتار حسب القرار رقم /١٥/ ت تاريخ ١٩٩٩/٥/١٣ والنوع السائد فيها الصنوبر بروتي الطبيعي Pinus brutia وفي المناطق الشاطئية من البحر المتوسط بسيادة غابة مختلطة قوامها الرئيسي من الخرنوب Ceratonia siliqua وبطم اللانتيسك Pistacia Lentiseus والزيتون البري Olea europaea var oleaster



❖❖ محمية البلعاس :

كان هذا الجبل في سابق عهده يضم غابات كثيفة من أشجار البطم الأطلسي Pistacia Atlantica والسويد الفلسطيني Rhamnus Palaestina والخوخ Prunus SP. واللوز Amygdalus Orientalis والأجاص البري Pyrus syriaca

كما كانت طبقة تحت الغابة غنية بالعديد من النباتات المعمرة والرعوية حيث كانت تأوي إليها الحيوانات البرية العاشبة والمفترسة والطيور المختلفة بحالة من التوازن والاستقرار المناسبين ، إلا أن الاحتطاب والرعي الجائرين حولا الجبل لكتلة جرداء ، ما عدا بعض الأشجار الهرمة من البطم الأطلسي والتي يرافقها شجيرات متفرقة ومفترشة متباينة الانتماء .

تقع المنطقة على مسافة ١٢٠كم شرق مدينة حماة تقريباً وبمساحة إجمالية قدرها /١٥٠٠٠/ هكتار ويبلغ أقصى ارتفاع لها قرابة ٩٢٠م عن سطح البحر عانت المنطقة من الرعي الجائر خلال سنوات الجفاف التي حلت في القطر فهي محطة للقطعان أثناء تشريقها وتغريبها رغم أنها لا تشتمل على أملاك خاصة وتتبع برمتها للدولة .

لقد خضعت المنطقة منذ سنوات عديدة لعملية تشجير حراجي استعمل فيها بشكل أساسي المخروطيات (صنوبر وسرو) وحالياً ومنذ عدة سنوات يتم التشجير بغراس البطم الأطلسي المنتجة في مشتل عقير بات الحراجي المتخصص لانتاج غراس البطم ، وقد تم تأمين الري في الأعمار الأولى فضلاً عن الحماية من الرعي والاحتطاب .

وهناك الكثير من الدراسات والقرارات الصادرة والتي تعتبر بعض المناطق الحراجية الهامة محميات بيئية لأهميتها نذكر منها محمية البسيط في اللاذقية ومحمية أبو قبيس وشيحة مصياف في حماة ومحمية العرشاني في ادلب ومحمية الثورة في الرقة ومحمية الشعرة في طرطوس .

❖❖ وأخيراً لا بد أن نقول أن أي تعريف نعتمده للمحميات البيئية سيدفعنا لاعتبار مجمل الغابات السورية بمختلف مراحل تدهورها محمية بيئية ، ففي بلد مثل سورية انحسرت نسبة غاباته في الأزمنة الحديثة نسبياً من ٤٧٪ إلى ٢,٧٪ لا بد أن تلقى هذه البقية الباقية اهتماماً ورعاية خاصة بغية الحفاظ عليها .